العثمانيون في رؤية عماد الدين خليل

أ. م. د. نسيبة عبد العزيز عبد الله
جامعة الموصل – كلية الآداب

الملخص

يتناول البحث جانباً من اسهامات الدكتور عماد الدين خليل الفكرية ورؤيته حول العثمانيين، فعلى الرغم من ان العثمانيين لم يدخلوا ضمن دراسته الاكاديمية الا انه كباحث في التاريخ الاسلامي لم يغفل الالتفات اليهم والحديث عن دورهم في التاريخ الاسلامي وعلى الرغم من قلة ما كتبه عنهم بحكم اختصاصه فانه تناول جزءاً من تاريخهم في كتابه مدخل الى التاريخ الاسلامي واشارات حولهم في كتابة الاخر مدخل إلى الحضارة الإسلامية، على اعتبار انهم كما يقول أدوا دوراً كبيراً وخطيراً في تاريخ الأمة وقد كان ظهورهم استجابة لنداء التاريخ، وقد ركز في حديثه عنهم على بعض الاحداث المهمة والمفاصل التاريخية للحكم العثماني والتي كانت لها اهمية كبيرة على مستوى الدولة العثمانية وعلى المستوى العالمي آنذاك.

الكلمات المفتاحية: العثمانيون، عماد الدين خليل، نداء التاريخ.

The Ottoman in the Sight of Imad Al–Din Khalil

Dr. Nusseibeh A. Abdullah
University of Mosul- College of Arts

Abstract

The Research deals With Dr. Imad Al-Din Khalil Intellectual Contributions and his Vision of the Ottomans, Although the Ottomans did not enter his Academic Studies, he was a Researcher in History The Islamic did not Neglect to pay Attention to them and talk about their role in Islamic History and despite the lack What he wrote about them by virtue of his Specialty, he took part of their History in his book an introduction to Islamic history and references about them in the writing of the other Entrance to the Islamic Civilization, As they say they played a large and Dangerous role in the history of the nation has been their appearance in response to the call of History, and focused in his talk about Some Important Events and the Historical Joints of Ottoman rule, which was of great Importance at the level of the Ottoman Stats and at the global level at the time.

Keywords: The Ottomans, Imad Al-Din Khalil, The Call of History.

المقدمة

من المعلوم ان الدكتور عماد الدين خليل له نتاجات غزيرة اثرت جوانب متعددة في مجالات التاريخ والادب والفكر والدعوة وهي على اهمية كبيرة، ولاسيما انها تعمق الوعي وترسيخ الانتماء للامة وتحافظ على خصوصية الهوية الاسلامية ، وفيما يخص كتاباته التاريخية التي تناولت جوانب كثيرة في التاريخ الاسلامي عامة، فقد اوضحت نهجه في كتابة التاريخ والذي يقوم على اظهار حقائق التاريخ كما هي بكل ما فيها من مواطن القوة والعزة للامة، ومن اخفاقات واخطاء ارتكبتها القيادات الاسلامية آنذاك وكانت سببا في تدهور الحضارة الاسلامية وضعف المسلمين وتغلب اعدائهم وهو ما فعله في تناوله لدور العثمانيين في التاريخ الاسلامي ، فقد ركز على اسهاماتهم في توسيع رقعة البلاد الاسلامية ونشر الاسلام والتصدي للحملات الصليبية والوقوف سداً منيعاً بوجه هجوم استعماري كانت دولتا اسبانيا والبرتغال طليعته ، ويشيد بإخلاصهم للإسلام، حتى عد فتوحاتهم الموجه الثالثة في الفتوحات الاسلامية ، ولم يغفل في الوقت ذاته ان يؤشر ما يراه خطا ارتكبوه ادى الى ضعفهم ومن ورائهم الامة الاسلامية ،وكان سببا في زوال دولتهم ،وفي هذا البحث تم التركيز على آراءه في العثمانيين التي حاولنا لم شتاتها من بعض ما كتبه عن التاريخ الاسلامي عامه ، فهو وان لم يكن قد افرد لهم مساحات واسعه في نتاجاته الغزيرة الا انه لم يغفل الاشارة اليهم في بعض كتبه او لقاءاته المتلفزة وما نشر على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت).

وقد تناول البحث فضلاً عن جانب من سيرته، آراءه في نشأة الدولة العثمانية وما قدمه من افكار حول اهمية تلك النشأة ثم دورها في التوسع في أوربا الذي عده استكمالا للفتوحات الاسلامية، كذلك اراءه في السلطان محمد الفاتح وفتحه القسطنطينية الذي عده حدثا كبيراً، كما تحدث عن الدولة الصفوية واثرها السلبي على استمرارية التوسع في أوربا، ثم اراءه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والاتحاديين ونهاية الدولة العثمانية، ومآخذه على الدولة العثمانية التي اشتملت على جملة من الانتقادات تم التطرق لها في البحث.

أولاً: وقفة مع سيرة الدكتور عماد الدين خليل

الاستاذ الدكتور عماد الدين خليل علم من اعلام العراق اثرى جوانب المعرفة المختلفة بكتاباته القيمة ، ولاسيما كتاباته التاريخية التي ترك فيها بصمته الخاصة وكان له في كل حقبة زمنية من التاريخ الاسلامي آراءه وافكاره وفلسفته التي نظر من خلالها لواقع التاريخ ، ولد الدكتور عماد الدين خليل في مدينة الموصل عام ١٩٣٩[١] واكمل فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية ، درس التاريخ في كلية التربية جامعة بغداد وتخرج منها عام ١٩٦٢ ليحصل عل شهادة البكالوريوس بدرجة الشرف من قسم التاريخ فيها، وواصل دراسته في التاريخ ليحصل على شهادة الماجستير بتقدير جيد جدا في التاريخ الاسلامي من معهد الدراسات العليا في كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٦٥ [٢] ، عن رسالته الموسومة (عماد الدين زنكي ٤٨٧-٥٤١هـ /١٠٩٤-١١٤٦م) ، قدم فيها دراسة تاريخية عن صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الاسلامي من خلال حياة القائد الفذ عماد الدين زنكي ، وقد عرض احداث الدراسة بأسلوب شيق يشعر القارئ بانه يعيش احداث ذلك لعصر .

اما الدكتوراه فقد حصل عليها عام ١٩٦٨ من مصر جامعة عين شمس في التاريخ الاسلامي بدرجة الشرف الاولى عن اطروحته الموسومة (الإمارات الارتقية في الجزيرة الفراتية والشام ٤٦٥-٨١٣هـ/ ١٠٧٢-١٤١٠م) ، وقد تم طبع الدراستان في كتابين في بيروت (مؤسسة الرسالة) ،طبعت الرسالة عام ١٩٧٢بينما طبعت الاطروحة عام ١٩٨٠[٣] .

تولى عماد الدين خليل مناصب عدة منها مشرفا على المكتبة المركزية في جامعة الموصل عام ١٩٦٨، كما انه احد تدريسي قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة الموصل للأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧، ثم مديرا لمكتبة المتحف الحضاري في المؤسسة العامة للآثار والتراث والمديرية العامة للآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل للأعوام ١٩٧٧-١٩٨٧، وقد توج مسيرته العلمية بالحصول على الاستاذية عام ١٩٨٩، ثم اصبح احد تدريسي كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة صلاح الدين في اربيل للأعوام ١٩٨٧-١٩٩٢ م درس فيها التاريخ الاسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ ، ثم استاذا في كلية التربية جامعة الموصل للأعوام ١٩٩٢-٢٠٠٠ثم عاد الى كلية الآداب جامعة الموصل [٤] .

له العديد من المؤلفات في مجال التاريخ والفكر والآداب والدعوة ، وهي كثيرة جدا ، وقد استعرضها الكثير من الباحثين لذا لا داعي لذكرها هنا ، الا اننا سنركز على المجالات التي اولاها اهتمامه ومنها التاريخ الذي توسع في الكتابة فيه بحكم اختصاصه ودراسته الأكاديمية ، ويقول عنه الدكتور ابراهيم العلاف انه حجة في تاريخ الجزيرة والشام ابان العصور الوسطى وما

يميز كتاباته انه لم يقتصر على معالجته الاحداث سياسيا بل كان يتناولها بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيكسبها رونقا وسلاسة تجعل القارئ يقبل عليها بنهم ولذة وسعادة ولربما جاء ذلك من اهتماماته بالنواحي التربوية ومعرفته بخبايا وخفايا النفس الانسانية وطرق الولوج اليها بيسر وسهولة ، وقد اعطت هذه الميزة كتابات الدكتور عماد الدين خليل شهرة واسعه خاصة بين الشباب[٥] وله منهجه الخاص في كتابة التاريخ فهو ينتقد المناهج التقليدية في دراسته ويأخذ عليها انها تعتمد التبدل والتغيير في الاسر والحكام والرؤية التجزيئية التي تدرس التاريخ اشتاتا مبعثرة وحرصها على التأكيد المتضمن على الجوانب السياسية والعسكرية واهمالها للتأثيرات الاسلامية العميقة في النسيج الاجتماعي ،وتقطيعها للظواهر التاريخية الكبيرة وبعثرتها من خلال المعالجة الافقية والتي تدرس كل عصر على حدة بدلا من المتابعة العمودية لكل ظاهرة عبر مجرى التاريخ الاسلامي [٦] .

تقوم مدرسته في دراسة التاريخ من خلال تعريفة الخاص للتاريخ الذي يقوم كما يرى على اعتباره التاريخ بحثا عن الذات وعن الهوية الضائعة في هذا العالم لتتجذر في الخصائص وتعميق الملامح والخصوصيات، وهو محاولة لإبراز نقاط التألق والمعطيات الانسانية والرصد الحضاري، الا انه في الوقت نفسه يحذر من التعلق بأهداف الماضي والقه دون الاكتراث بتحديات الحاضر والمستقبل [٧] .

وقد تفرغ الدكتور عماد الدين خليل في السنوات الثلاثين المنصرمة لقضايا الدعوة والعقيدة الاسلامية ، الا انه ظل على صلة وثيقة بالتاريخ والدراسات التاريخية كما انه استفاد من خلفيته الفكرية التاريخية لتعميق دراساته في النقد والمسرح الاسلاميين ، وله في المجال الادبي روايات تاريخية عديدة [٨] ، وعلى الرغم من ان السمة الغالبة عليه هي كونه مؤرخا الا ان كتاباته في الفكر الاسلامي والادب كانت اكثر من كتاباته التاريخية ، فيشير احد المصادر ان له ٧٢كتابا حوالي (٢٠) منها فقط في التاريخ ومناهجه وفلسفته والباقي في الفنون الاخرى منها الفكر الاسلامي والادب والمسرح والرواية [٩] ، وهو ما اعطاه صفة الموسوعية والشمولية في مجالات الابداع.

ويحدد عماد الدين خليل ثلاث سياقات لأعماله ومؤلفاته هي الادب والفكر والتاريخ، فيقول: بدأت الكتابة ولاأزال مع الادب والفكر والتاريخ ،ونسجت اعمالا على مدى خمسين عاما في هذه السياقات الثلاثة ، وبحكم تخصصي تعاملت مع البحوث الاكاديمية كما لو كانت هي الاولى ومع ذلك وبسبب تكويني الذاتي وطبيعة قراءاتي واصلت العمل بالاندفاع نفسه في حقلي الفكر والادب تنظيرا ونقدا وابداعا [١٠].

ويتبنى الدكتور عماد الدين خليل مبدا التكامل بين كافة المعارف الانسانية ادبا وفنا وتاريخا وفلسفة ويرفض الكتابة الاكاديمية الفجة (كما يقول) التي تقيم الحواجز الصارمة بين حقول المعرفة المختلفة ، فالنصوص التي وضعت اصلا في التاريخ او الفكر او الوعظ جاءت في مستوى ادبي راق [١١] ، وينتقد الاكاديميين فيقول : لدي بعض المآخذ على الاكاديميين الذين اعتقلوا انفسهم في زنزانته التخصص كما يقول ويتحدث عن منهجه في كتابة التاريخ بقوله : " حاولت في كتاباتي ان اخاطب الشرائح كافه ، الحلقات التخصصية والحلقات الثقافية الاكثر اتساعا والمهم ان يمتلك الكاتب اللغة والاسلوب الذي يعينه على الاداء المقنع في أي حقل من الحقول ، وليس ثمة من يجادل ان التاريخ علم وانه ينسج حيثياته في ساحة تختلف في شروطها ومواصفاتها عن ساحة الادب ومع ذلك فان لغة المؤرخ واسلوبه بعبارة ادق تمارس دورا في كسب جماهير القراء وللأسف فان العديد من المختصين في التاريخ لا يملكون هذا الاسلوب فيخسرون المساحة الاوسع من القراء" [١٢].

وفيما يتعلق بروايته للعثمانيين فانه على الرغم من ان العثمانيين لم يدخلوا ضمن دراسته الاكاديمية الا انه كباحث في التاريخ الاسلامي لم يغفل الالتفات الى دورهم في التاريخ الاسلامي وعلى الرغم من قلة ما كتبه عنهم بحكم اختصاصه فانه تناول جزءا من تاريخهم في كتابه مدخل الى التاريخ الاسلامي على اعتبار انهم ادو دورا كبيرا وخطيرا في تاريخ الامة، وقد كان ظهورهم استجابة لنداء التاريخ كما يقول ، وقد ركز في حديثة عنهم على عدة محاور منها نشأتهم واثرهم في التاريخ الاسلامي ودورهم في نشر الاسلام في اوربا وعد فتوحاتهم استكمالا للفتوحات الاسلامية التي حدثت في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الاموية كما ركز على دور الدولة الصفوية في تعويق هذه الفتوحات فضلا عن التركيز على فتح القسطنطينية وما كان له من اثر على التوسعات في اوربا ، واعطى اهتماما كبيرا لعهد السلطان عبد الحميد الثاني لموقفه من فلسطين والوقوف بوجه الحركة الصهيونية ، وخلص الى الاسباب التي ادت الى ضعف الدولة العثمانية واسباب سقوطها ، كل هذه الامور تحدث عنها مبعثرة هنا وهناك في كتاباته او لقاءاته المتلفزة وكان علينا ونحن نستقصي رايه في العثمانيين ان نتتبع كل ذلك لنصل الى بغيتنا .

ثانياً: نشأة الدولة العثمانية:

الدولة العثمانية واحدة من الامارات التي نشأت اول امرها كامارة ثغور ظهرت غرب الاناضول في ظل دولة سلاجقة الروم في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي[١٣] . وتعود اصولهم الى اسيا الوسطى [١٤] وتحديدا من المنخفض السهلي المسمى (طوران) الواقع الى الجنوب من جبال الاورال الذي يضم مناطق متباينة التضاريس ، توصف غالب اراضيه بانها

صحراء (صحراء قرة قوم وقيزل قوم)[١٥] ويقول عنهم الدكتور عماد الدين خليل :انهم من تركمان اواسط اسيا وقد لعبوا دورا خطيرا في تاريخ الامة وهم من الاصول ذاتها والمنطقة التي جاء منها السلاجقة [١٦] ، اتخذ العثمانيين مبدا الجهاد لتوسيع دولتهم مما اكسبهم مكانة كبيرة في العالم الاسلامي ، فهم كما يراهم قوة اسلامية فتية جاءوا استجابة لنداء تاريخي ولضرورة زمنية اقتضت ظهورهم لحماية الارض والامة الاسلامية من هجوم غربي صليبي استعماري شامل كان يعد العدة لاكتساح العالم الاسلامي مستغلا ضعف قادته ودوله وتمزقها وعدم امتلاكها القدرات المادية والروحية والبشرية للرد على التحدي الغربي ، وكان المسلمون لايزالون يعانون من الجراح التي اثخنتهم بها الهجمتان القاسيتان ، هجمة الصليبيين وهجمة المغول باندفاعها الاول والثاني ، وهكذا تتبدى كما يقول الاهمية البالغة لظهور القيادة العثمانية في هذه الفترة بالذات ، فهم لم يقفوا عند حدود الدفاع عن مقدرات الارض والامة الإسلامية وانما تجاوزوا ذلك الى الهجوم على عالم الغرب نفسه واجتياح اسواره الشرقية واختراق اوربا باتجاه العمق ، فقد كانوا في القرون الاولى التي اعقبت ظهورهم يمتلكون حيوية حركية فائقة مكنتهم من تحقيق مهمتهم التاريخية تلك [١٧] .

اعتنق العثمانيون الاسلام بإخلاص بالغ وهضموا وتمثلوا الكثير من قيمه ومبادئه ، فبرفعهم راية الجهاد وتوجههم القتالي وتكوينهم العسكري وميلهم الى الحرب والتوسع قد قدموا خدمة كبيرة للإسلام بتحقيق واحدة من اكبر موجات الفتح والانتشار في التاريخ بعد الموجتين الراشدية والاموية فاكتسحوا الجدار البيزنطي واسقطوا قاعدته التي ارتدت عنها مرارا قوات الامويين والعباسيين (يقصد القسطنطينية) وانطلقوا على جناح الايمان الى قلب القارة الاوربية لا يلوون على شيء فتهاوت امام ضرباتهم دول وممالك وكيانات، وصعدوا شمالا حتى دخلوا اراضي بولندة وتوجهوا غربا حتى دقوا ابواب فينا في قلب القارة الاوربية ، وكانوا في طريقهم لتحقيق الهدف الذي عجز عنه المسلمون في الاندلس وهو تحويل القارة الاوربية الى ارض اسلامية ، لكن التاريخ (كما يقول) له سننه وقوانينه وماهي الا الشروط التي لم تستكمل اسباب التحقق بها فان المعجزة لن تقع بحال من الاحوال[١٨] وهكذا اصبح العثمانيون قادة العالم الاسلامي ، ففي دائرة التاريخ الاسلامي كانت الايام تتقلب ومعها الاقوام والشعوب والجماعات التي يرث بعضها بعضا ، كان بمقدور اية جماعة قديرة على الفعل والانجاز ان تقود حركة التاريخ والمجتمع الاسلامي أيا كان العرق الذي تنتمي اليه والاصول التي دفعتها الى الوجود فان جواز سفرها الوحيد الذي يسمح لها بالمرور والصعود كان انتمائها الى الاسلام وحده[١٩]

كان وقوع الامارة العثمانية _التي قادها عثمان واخذت اسمها منه _ على حدود بيزنطة قد حافظ على عنفوان حماسها العسكري والديني بكامله ، وكانت المبادئ الاسلامية هي التي

حركت الامارة العثمانية ورفعتها بعيدا فوق منافسيها في الاناضول [٢٠] وقد وضع لنفسه منهجا سار عليه هو وابنائه من بعده منها الحض على العدل والجهاد [٢١] ، ان حربه ضد بيزنطة ادت الى تقاطر المجاهدين من ارجاء اسيا الصغرى جميعا ، ومن القبائل على اختلافها ومن قره جه حصار قاد عثمان شعبه القوي عبر بحر مرمرة والبحر الاسود[٢٢] .

ثالثاً: آراءه حول فتوحات الدولة العثمانية في اوربا حتى عام ١٤٥٣

اعتبر الدكتور عماد الدين خليل ان فتوحات العثمانيين في اوربا (شرق اوربا) امتدادا للفتوحات الاسلامية التي اسهمت بشكل كبير في انتشار الاسلام – وبحسب تصنيفه فان انتشار الاسلام جاء عبر ثلاث موجات – كانت الموجة الاولى في عصر الخلفاء الراشدين في حين ان الموجة الثانية في العصر الاموي ، ليكمل العثمانيون جهود سابقيهم عبر موجة ثالثة كان حصيلتها نشر الاسلام في اجزاء كبيرة من اوربا الشرقية ، ويتحدث في هذا المجال عن جهود اورخان(١٣٢٦-١٣٦٢م) ومراد الاول (١٣٦٢- ١٣٨٩م) وانتصاراتهما على بيزنطة ثم يشير الى موقعة قوصوه الاولى(كوسوفا) ١٣٨٩م [٢٣] التي كانت نتيجتها انتصارا باهرا للعثمانيين ، وكان من الطبيعي ان تثير هذه الانتصارات جزع الغرب ، لذا دعا البابا الى حرب المسلمين واذا بالفكرة الصليبية تعود بالظهور ، فلا يطل ربيع ١٣٩٦م حتى يكون ملك المجر قد استطاع ان يجمع حوله في بودابست جيشا قويا من الفرسان تقاطروا اليه من بلدان اوربا الغربية ، ولكن فقدان روح النظام عند هؤلاء المحاربين في سبيل الايمان جعل حماستهم عديمة الجدوى ، وذهبت جميع جهود ملك المجر لقيادتهم في حرب منتظمة ادراج الرياح ، ووفق بايزيد الاول (١٣٨٩-١٤٠٢) ان ينزل بهم عند حدود نيكوبوليس هزيمة قاسية، ثم يتحدث عن معركتي فارنا وقوصوه الثانية في عهد مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١) وما احدثتاه من اثر كبير في اوربا الشرقية [٢٤] فالعثمانيون قبل فتح القسطنطينية وبعدها كانت عيونهم على اوربا وكانوا يحملون كأجدادهم الرشدين والامويين من بعدهم وحتى السلاجقة رؤية عالمية وهي ان يمدوا الاسلام الى افاق الارض ، بإزاحة السلطات الباغية ليتركوا الخطاب الاسلامي يصل الى اسماع الناس جميعا في كل زمان ومكان ، ويستشهد بما ذكره المؤرخ كارل بروكلمان في كتابة (تاريخ الشعوب الاسلامية) الذي يعطي كما يقول صفحات تفصيلية وخصبة عن الامتداد العثماني في العمق الاوربي وما حدث من مجابهته على يد ملوك وامراء اوربا وفي معظم هذه المعارك وعلى الرغم من التحالف الاوربي الكبير فان الفوز حليف العثمانيين في معارك ضارية كادوا ان يقظوا فيها على الجيوش الاوربية واحدة تلو الاخرى [٢٥] ،وبهذا يكونون هم من نقل الاسلام الى الجانب الاوربي من العالم القديم فانتشر في مساحات واسعة من اوربا الشرقية ، وقد كانت الدولة العثمانية سدا وقف

قبالة كل تحديات الغرب الصليبية التي ارادت ان تجهز على العالم الاسلامي وحموا جسد الامة الاسلامية من التآكل والفناء [٢٦] وكانت اوربا هي الساحة الرئيسة لتنفيذ سياستهم الحربية والسلمية على السواء وقد اعطى القتال المساحات الاوسع وكان جهادهم متواصلا ضد القوى الاوربية [٢٧] .

رابعاً: آراءه في فتح القسطنطينية

من المؤكد ان فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ /١٤٥٣م كان له وقعه الكبير على العالم الاسلامي والغربي على السواء مع اختلاف في نظرة الطرفين للحدث ، ومعروف ان فاتح القسطنطينية هو السلطان محمد الثاني بن مراد الثاني (١٤٥١-١٤٨١) ، الذي بذل جهدا كبيرا في اعداد القوة اللازمة لهذا الفتح على المستويين العسكري المعنوي [٢٨] ، ويصف الدكتور عماد الدين خليل هذا الفتح بالمعجزة وهو صفحة مشرفة في تاريخ بني عثمان ، ويعزو هذا الامر الى ان العثمانيين في هذه الفترة كانوا قد مسكوا بزمام الحركة التاريخية بقدراتهم العسكرية ، لذا فانهم حققوا مجدهم السلالي وطووا في زمن قياسي نصف اوربا ، فقد عرف محمد الفاتح كيف يوظف قدراته الهندسية والعسكرية في البر والبحر وتمكن من تحقيق المعجزة التي تراجع عنها خلفاء بني اميه وبني العباس قبل قرون ، ويسمى ذلك العصر بعصر التألق[٢٩] ، فقد كان هذا السلطان العثماني الشاب الذي لم يتجاوز من العمر (٢٣) سنه يمتلك عقل وروح من بلغ السبعين او الثمانين من عمره وهو قائد مدهش ومهندس من الطراز الاول[٣٠]، كان فتحهم للقسطنطينية تحقيقا لنبوءة الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، وبهذا اخرجوا البيزنطيين من التاريخ بعد ان كان هؤلاء شوكة تخز جنب الامة الاسلامية وكيانها السياسي لمدى قرون متطاولة [٣١].

كان محمد الثاني قد جعل هدفه منذ توليه الحكم فتح القسطنطينية فبدا بتشييد قلعة روم ايلي حصار المنيعة على بعد اميال من القسطنطينية عند اضيق نقطة من البسفور وكان ذلك بمثابة اعلان الحرب [٣٢] ثم يتحدث عن حصار القسطنطينية ويستذكر حادثة انزال السفن الى خليج القرن الذهبي ، فبعد ان طال حصار المدينة واستعصى عليهم فتحها، وكانت من جهة مضيق البسفور تحميها السلاسل التي تمنع أية سفينة من الاقتراب من السور لذا كان عليه ايجاد الحل لهذا الامر ،وسرد رواية يتحدث فيها عن رؤيا راها محمد الفاتح [٣٣] ولكنه يستدرك ويقول نحن المؤرخين لا نلجأ الى الاحلام ولكنه حلم مؤثر ، ومع ذلك فيقر حقيقة هذه الرؤيا بقولة: " وما اكثر الرؤى الصادقة التي تجئ كفلق الصبح كما يقول عليه الصلاة والسلام " ورؤياه هي ان السلطان محمد الفاتح رأى محمد صلى الله عليه وسلم يقول له يامحمد ليس هذا الطريق الى القسطنطينية واختفى ، وفي اليوم الثاني عادت الرؤية لكي يجد نفسه مرة اخرى قبالة رسول الله

صلى الله عليه وسلم فيقول له يامحمد ليس هذا الطريق الى القسطنطينية ، فكانه انتبه الى ان المعلم الكبير يقول له عليك ان تفكر بطريقة اخرى، حينذاك قدحت في ذهنه فكرة ان يقوم بعملية التفاف بالسفن لتضييق الخناق على القسطنطينية وكانت احدى معجزات محمد الفاتح والعثمانيين، ووقف في اليوم الذي هجم فيه الهجمة النهائية على القسطنطينية امام قواته كافه وقال عبارته المشهورة والمؤثرة (اما ان اخذ القسطنطينية او ان تأخذني)[٣٤] ، وهكذا فان هذه العملية التي حدثت وهي نقل السفن عبر البر وانزالها الى خليج القرن الذهبي كانت كما يقول قد استلهمها محمد الفاتح من رؤيا راها في منامه.

بعد ذلك انقض الجيش العثماني على القسطنطينية من البحر والبر ودخلوا في معارك ضارية مع البيزنطيين في داخل شوارع القسطنطينية واحيائها وسالت دماء غزيرة قدم فيها المسلمون (٥٠) الف قتيل ، وخر محمد الفاتح ساجدا على الارض معفرا جبهته بالتراب شاكرا الله، ولم يلحق محمد الفاتح الاذى بسكان القسطنطينية الذين اعطاهم كامل الحرية الدينية والمدنية[٣٥].

ويشيد بتنظيمه لأحوال (الروم المغلوبين) وفقا للفكرة الاسلامية كما يقول بحيث ابقى على استقلال البلغار الكنسي ، كما فعل اسلافه من قبل واعترف بجميع السطات الدينية اليونانية، بل انه زادها قوة الى قوة بان وكل اليها امراء القضاء المدني وتطبيق احكامه على اتباعها [٣٦].

وعد فتح القسطنطينية [٣٧] من الامور التي اعطت دفعة قوية للعثمانيين في اوربا لانهم امتلكوا نقطة ارتكاز اساسية للاندفاع نحو اوربا ، فقد سعى محمد الفاتح بعد ذلك الفتح الى التمكين لسلطته في شمال الجزيرة البلقانية حيث كان المجر الاشداء في الحرب كما يقول يهددونها لذا كان عليه الاستيلاء على الصرب لضمان قاعدة لجيشه ينطلق منها الى المجر ثم اكتسح البانيا والحق بالبنادقة والجنويين خسائر فادحه وجعل الأرخبيل بحيرة عثمانية [٣٨] ، وهنا نشير ان الاستاذ الدكتور بحكم تخصصه في التاريخ الاسلامي لم يطلع مفصلا على التاريخ العثماني على الرغم من معلوماته الواسعة فيه التي تستند بالتأكيد الى قراءات جيده الا ان الدولة العثمانية لم تجعل الأرخبيل بهذا الوصف (بحيرة عثمانية) الا في عهد ابنه السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢)[٣٩].

وقد تجاوز الدكتور عماد الدين خليل الحديث عن التفاصيل الى العموميات في التاريخ العثماني لذا اهمل الحديث عن بعض الفترات ومنها الفترة الواقعة بين عهد السلطان محمد الفاتح الى السلطان سليمان القانوني (١٤٨١-١٥٢٠) ، وذلك بحكم انه مختص بالتاريخ الاسلامي السابق للعثمانيين ، لذا فانه دخل مباشرة في عهد السلطان سليمان القانوني الذي سماه (سليمان

الكبير) ، فيقول ان الانتصار الحاسم للعثمانيين على الساحة الاوربية هو الذي تحقق على يد سليمان الكبير ، فدخل بلغراد بعد سنه من توليه الحكم وبعد سنوات قلائل استأنف الحرب ضد المجر وقتل ملكهم الشاب في موقعة موهاكس الحاسمة مع صفوة من رجالة في عام ١٥٢٦ ثم دخل مدينة بود ثم بست التي اصبحت (بودابست) وبعد ثلاث سنوات فرض الحصار على فيينا عاصمة النمسا لكنه اضطر لفكه بسبب قلة المؤن ولم تكن حملته ١٥٣٢اوفر حظاً من سابقتها ونظرا للمشاكل الممتدة في اسيا اضطر السلطان الى عقد معاهدة صلح في الساحة الاوربية لكي يتفرغ لتلك المشاكل [٤٠] .

خامساً: أثر الدولة الصفوية على الفتوحات العثمانية في اوربا

لم يغفل الدكتور عماد الدين خليل عندما يتحدث عن فتوحات الدولة العثمانية في اوربا الاثر الذي تركة الصفويون [٤١] على هذا الفتح فيقول : والذي حدث هو شيء محزن تماماً، (الصفويين) في ايران تحرشوا بالدولة العثمانية واستفزوها واعلنوا الحرب عليها فارغموا سلاطينها المندفعين في العمق الاوربي لتصفية حساباتهم مع هذا التحدي او الاستفزاز والتعدي على مواقعهم في المشرق صحيح ان العثمانيين تمكنوا في معركة جالديران (شمال بلاد فارس) من سحق القوات الصفوية وجعل اسماعيل الصفوي يهرب من بين ايديهم الا انهم لم يقضوا عليه بالكلية واستمروا فيما بعد وارغموا العثمانيين على الانسحاب من العمق الاوربي والاتجاه الى المشرق وهذا اثر تأثيرا كبيرا على التقدم العثماني في اوربا بل يمكننا القول انه العامل الاساس في عدم قدرة العثمانيين على الاستمرار في اندفاعهم ، فالعثمانيون استنزفوا في الجهة الشرقية على حساب مشروعهم الكبير وهو الامتداد في العمق الاوربي وتحقيق حلمهم العالمي [٤٢].

كما اشار الى محاولات الصفويين الاتصال بالقوى الاوربية لضرب العثمانيين ولاسيما البرتغاليين، الذين كان هدفهم السيطرة على العالم الاسلامي كما يقول وكان الهدف السيطرة على دار الاسلام حربياً وتجارياً ، الا ان القوة الاسلامية العثمانية لم تتركها تصل الى ماكنت تطمح اليه فأوقفتها واستطاعت ان تقضي عليها[٤٣]

سادساً: اراءه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وحتى سقوط الدولة العثمانية :

يشيد الدكتور عماد الدين خليل بعبد الحميد الثاني، ولاسيما فيما يتعلق بموقفه من الحركة الصهيونية وقضية فلسطين ، لقد وقف بوجه الضغوط الغربية والصهيونية عندما رفض المساومة ولو على شبر واحد من الاراضي الاسلامية على الرغم من الإغراءات التي قدمتها الحركة الصهيونية ، وكان قد اصدر منذ عام ١٨٨٨ م مرسوما منع بموجبه الهجرة بشكل جماعي الى

اراضي الدولة العثمانية ومنها فلسطين التي قرر عدم السماح لليهود بالبقاء فيها اكثر من ثلاثة اشهر ، وقد تمت مساومته عندما دخل عليه عمانؤيل قره صو زعيم يهود سلانيك موفدا من الجمعية الصهيونية يعرض عليه (خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية) تقدم الى الخزينة السلطانية و(٢٠) مليون ليرة اخرى قرض من دون فائدة لمدة تقررها الحكومة العثمانية في مقابل منح الاراضي الواقعة ما بين غزة والبحر الميت الا انه رفض وطرد قره صو، كما رفض عرضا اخر قدمه هيرتزل عام ١٨٩٦م ، وكان لابد له من ان يدفع الثمن ، اذ قامت جمعية الاتحاد والترقي[٤٤] التي سيطرت على قيادتها وكوادرها عناصر ماسونية ويهودية بخلعه عام ١٩٠٩ ومن العجيب ان الذي تقدم اليه بقرار الخلع هو قره صو نفسه [٤٥] .

ويعتبر الدكتور عماد الدين خليل ان قضية خلع السلطان عبد الحميد الثاني من القضايا التاريخية الكبيرة والحاسمة، ولازالت تأثيراتها كما يقول تلعب دورها في حياتنا الراهنة ، فيهود الدونمة الذين تظاهروا بالإسلام وابطنوا اليهودية هم من كانوا وراء خلعه ، وقد ادرك قادة الصهيونية ان امامهم فرصة استثنائية مع هذا الوضع _الى جانب تبني القوى الاوربية الاستعمارية لحركتهم لذا دعموا جمعية الاتحاد والترقي التي هي بالتأكيد غير تركية وغير اسلامية ، فمنذ تأسيسها لم تظهر أي عضوا من اعضائها من اصل تركي صاف – لأسقاط السلطان [٤٦] .

وبنهاية عبد الحميد الثاني يختم الدكتور عماد الدين خليل الدور التاريخي للدولة العثمانية "فقد امتطى قيادتها العليا ومناصبها جماعة ماسونية والبعض منهم ينتمي الى يهود الدونمة ومارسوا سياسة التتريك وفتحوا ثغرة جديدة واسعة بين الاتراك والشعوب الاخرى من الدولة العثمانية وخاصة العرب ، ان سياساتهم اوجدت ثغرة نفذ منها الاستعمار الصليبي والحركة الصهيونية ،... ان الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني يكسب خطورته البالغة من كونه مؤامرة دوليه كبيرة استهدفت تدمير قيادته الاسلامية عميقة الجذور ذات تقاليد موغلة في الزمن[٤٧].

وفي عصر الاتحاديين ارغمت الحضارة الاسلامية على تلقي المزيد من الضربات وخرجت عن موقعها، ومحي من الوجود العديد من مفرداتها ولم يبق فيها بمرور الوقت سوى الخرائب والاطلال التي لم تنج هي الاخرى من مدافع الاتحاديين والعلمانيين واصرارهم المسبق على فك الارتباط بين الامة التركية واصولها الحضارية [٤٨] ، وبذلك يكون قد حمل الاتحاديين مسؤولية ماحل بالعالم الاسلامي بعد تدهور قيادته المتمثلة بالعثمانيين.

سابعاً: آراءه حول نهاية الدولة العثمانية

وضع الدكتور عماد الدين خليل جملة من الاسباب التي ادت كما يقول الى اضعاف الدولة العثمانية وسقوطها، منها :

توقف التوسع فانعكست الحالة التي كانت عليها الدولة وارغمت على اتخاذ موقف الدفاع حيث وجدت نفسها مرغمه بين الحين والاخر على قبول الدخول في مفاوضات مع الغرب المتفوق والتوقيع على معاهدات كانت في معظم الاحيان في غير صالحها ، و تسللت من تلك المعاهدات المصالح والامتيازات الاجنبية الى جسد الدولة العثمانية، ونشطت تحت مظلتها القوى الداخلية المعادية للعثمانيين والتي كانت تنتظر الفرصة المواتية للانقضاض واثارة الفتن والاضطرابات التي زادت الدولة ضعفا على ضعف ومكنت لخصومها في الداخل والخارج من تدميرها والغاء مؤسسة الخلافة التي كانت رمزا للتفوق الاسلامي والروح الجهادية والقدرة العسكرية على محاربة الغرب(٤٩)

كما اشار الى خطا كبير ارتكبته القيادات المتأخرة وهو اهمال التصنيع فلم تتجاوب الدولة العثمانية بالقدر المطلوب مع تحديات التقدم الغربي وبخاصة التقدم في مجال التسليح ، وراح الفارق بتزايد بمرور الوقت بينها وبين الغرب بحيث اصبح تخطيه او عبوره في القرن الاخير يحتاج الى معجزه تخرق قوانين الحركة التاريخية وسننها وتصنع المستحيل ، في الوقت الذي كان فيه على العثمانيين الاهتمام بدولتهم واستخراج طاقاتها وكنوزها وتوظيفها لحماية العالم الإسلامي، الا انهم وجدوا انفسهم بمدفعيتهم العتيقة وسلاحهم المختلف ونظمهم العسكرية البالية قبالة تفوق فرنسا وبريطانيا وروسيا بجيشها البري المتطور وقطعاتها البحرية المتقدمة، وفيما بعد بغطائها الجوي المهيمن ونظمها العسكرية المدهشة ، فما لبثوا ان اذعنوا للقوة والتنظيم واعطوا من انفسهم الدنية عبر سلسلة متواصلة من الهزائم على الرغم من المقاومة البشرية والفدائية التي لم يشهد لها التاريخ لها مثيلا والنفس الجهادي الموغل في تكوين المقاتل العثماني ، وبهذا تمكن خصوم الامة من تدمير الجدار العثماني الذي ظل يحميها لعدة قرون ومن تسمية الدولة العثمانية التي دوخت اوربا بالرجل المريض(٥٠) .

ويعزو ذاك الخطأ الى انها ابتعدت عن منهج الله والتوجيهات القرآنية ، فيقول انها لم تصغ جيدا الى الخطاب القرآني بأعداد القوة ، ويشير الى الآية الكريمة من سورة الحديد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٥١)، وعلى الرغم من انها كانت ترى الغربيين يتسابقون في تطوير قواهم الا انها لم تنتبه لما يريده القران منها بان تتسلح بالقوة وتلاحق الغربيين خطوة بخطوة دقيقة بدقيقة شبرا بشبر (٥٢) .

ويرى ان موقفها من الصهيونية ودفاعها عن فلسطين كان احد الاسباب التي دفعت الغرب للتآمر عليها وتصفيتها من الوجود ، ويرى ان محاولات الاصلاح على النمط الغربي (التي يسميها بالفاسدة) كانت احد اسباب تفكيكها [٥٣] .

ثم يقول ان الضربة الحاسمة الاخيرة التي وجهت الى الدولة العثمانية التي سماها (الخلافة العثمانية) كانت من زعيم علماني مصنوع على عين الغرب ورعايته وهو مصطفى كمال (اتاتورك) الذي اخذ عن الغرب بعض مظاهرة دون عناصر قوته الحقيقية ودفع ابناء شعبه بالقسر والاكراه للتخلي عن الكثير من التزاماتهم العقيدية _التي اعتبرها العامل الاساس في بناء دولتهم – التي حملتهم يوما الى اعماق اوربا ومنحتهم السيادة على العالمين [٥٤] .

وبهذا يكون قد وضع سببا اخيرا ومهما من اسباب السقوط وهو التخلي عن الاسلام الذي كان احد اهم الاسباب التي حققت انتصاراتهم يوما ما كما يقول.

ثامناً: مآخذه على العثمانيين

يضع عماد الدين خليل عدة مآخذ عليهم في تعاملهم مع الخطر الاوربي ويشيد بالمركزية الاوربية التي يقول فيها ان الاوربيين يعتبرون انفسهم سادة العالم وابناء اولى الحضارات البشرية في اعتقادهم التي تستمد ضوئها من الحضارة المتفوقة ، فلا يسمح الاوربيين ثقافيا او حضاريا ان ينافسهم اخر وان يتفوق عليهم او يخترقهم وكذلك الحال ديمغرافيا وعسكريا يمكن ان يفعلوا الافاعيل ويتداعوا بشكل مدهش وهذه نقطة يشار اليهم بالبنان في سرعة التداعي لمناصرة بعضهم البعض الاخر لو امتلكنا عشر معشارها لفعلنا ايضا الافاعيل يتداعون ملوكا واباطرة وامراء لمواجهة الخطر الاسلامي الذي يريد ان يخترق عليهم دارهم [٥٥]

وان كان التداعي الذي يتحدث عنه الدكتور موجودا الا انه محكوم بمنطق القوة ، فصيح ان الدول الاوربية تداعت بأحلاف صليبية ضد العثمانيين موقعة مارتيزا ١٣٦٤م وقوصوه الاولى ١٣٨٩م ونيكوبوليس ١٣٩٦م وفارنا ١٤٤٤م وقوصوه الثانية م١٤٤٨[٥٦] ، الا ان هذه الحملات كلها باءت بالفشل حكمها منطق القوة الذي كان في صالح الدولة العثمانية آنذاك ، ثم بسبب خلافاتهم المذهبية خسروا القسطنطينية لذا لم يكن هذا التداعي على وتيرة واحدة وبنفس المعنى الذي ذهب اليه الدكتور

ثم يقول هذه الميزة أي ميزة التداعي كانت مفقودة في العهد العثماني [٥٧] ، لذا فان العثمانيين في نظره مدانين في هذه المسالة ، الا اننا نقول من خلال تتبعنا لهذا الا مر فقد وجدنا العثمانيين في ساحات عديدة كانوا يقفون الى جانب اخوانهم المسلمين ضد الغزو الصليبي فقد وقفوا مع مسلمي الاندلس منذ ايام حكم السلطان بايزيد الثاني وقبل ان تسقط الاندلس وكان

للبحار العثماني كمال ريس دورا كبيرا في هذا المجال الذي وصل الى غرب البحر المتوسط منذ عام١٤٨٦ م وقد ارسله السلطان بايزيد الثاني [٥٨] ، ثم جهاد عروج واخيه خير الدين معروف في غرب البحر المتوسط ، ومن الأمثلة الاخرى تداعي العثمانيين لنصرة الممالك الاسلامية في الهند وجنوب شرق اسيا ضد الغزو البرتغالي فمنذ اللحظات الاولى التي وطئت اقدام البرتغاليين على سواحل الهند عام ١٤٩٨م ارسل السلطان بايزيد الثاني عددا من البحارة العثمانيين لمساعدة هذه الممالك في بناء قوتها فضلا عن المساعدات المتتالية التي قدمت لهم كما قدم مساعدات للماليك للوقوف بوجه البرتغاليين في البحر الاحمر والمحيط الهندي [٥٩] . كما عرف عن سليمان القانوني وابنه سليم الثاني ١٥٦-١٥٧٤ دورهما المتميز في هذا المجال ، فكانت الحملات العثمانية تتابع الى تلك المناطق منها على سبيل المثال حملة سليمان باشا الخادم وحملة بيري ريس وسيدي علي ريس ثم حملات سليم الثاني التي وصلت الى إندونيسيا[٦٠]

كما عد عدم الاهتمام باللغة العربية احد اهم المآخذ عليهم ولاسيما في بلاد البلقان واعتبر ذلك الامر من الصيغ الخاطئة التي اعتمدها العثمانيين في حكم تلك المناطق[٦١] ، ويرد على ذلك الاستاذ الدكتور اسماعيل احمدي، وهو استاذ في جامعة برشتينا، بقوله : " لقد ازاحت اللغة العربية امامها في اول انتشارها اللغات المحلية التي كان يتحدث بها شعوب البلقان ، ان الفتوحات العثمانية جاءت بلغة وثقافه جديدتين كانتا مقصورتين على الجزيرة العربية ، بحيث لم تمض فترة وجيزة على الفتوح حتى كانت اللغة العربية اللغة العامة في البلاد التي تم فتحها [٦٢] وهو ما عاد ليؤكد عليه الدكتور عماد الدين خليل ذاته لكنه يصفه بعدم الكفاية وفي حدوده الدنيا، يقول: " ولكن العثمانيين في حقيقة الامر بذلوا جهدا في هذا فنحن لا نقيس التاريخ بالمسطرة ، وانما نعطي مساحات ، فقد بنوا المساجد في الديار التي فتحوها ولاتزال قائمة في البوسنة والهرسك والبانيا واماكن عديدة اخرى في اوربا الشرقية وأنشأوا المدارس وبعثوا شبكة من الفقهاء ، ولكن هذا الجهد كان في حدوده الدنيا؛ فلو كانوا استطاعوا ان يرفعوا هذا الجهد بخصوص تعميق الوعي بالدين الاسلامي وباللغة العربية التي هي الجسر الذي يصل الشعوب التي فتحت اراضيها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويربطهم اكثر بالعرب كان من الممكن ان يكون غير الحال ...، فالمطلوب تعميق الوعي بثواب هذا الدين وبلغته العربية الام التي اصبحت لغة عالمية والتي لن يقدر لأي امة ان تلتحم اكثر بمطالب هذا الدين الا اذا اجتازت هذا الجسر اللغوي الذي يربطها بالقران والسنة "[٦٣].

ثم يتحدث الدكتور عماد الدين خليل عن خطا ارتكبه العثمانيين في عدم تركيزهم على اهمية التنمية الحضارية في ميادين السلم والابداع لحماية دولتهم وتمكينها من البقاء[٦٤] ، ويؤكد

على تلك المسالة مراراً ، الا ان العثمانيين في اوج قوتهم امتلكوا زمام الحضارة وصاحب تقدمهم العسكري تقدما في ميادين العلوم والثقافة وهو تقدم يمكن وصفه بانه اكثر استقلا عما كانت عليه القرون السابقة ، اذ اكتسبت الحضارة العثمانية سماتها الخاصة في ميادين الادب والفن وقد رعى السلاطين العلماء وقربوهم وبرز في العهد العثماني الكثير من العلماء والمفكرين في مجالات العلوم شتى منها الطب والفلك والهندسة والرياضيات والفكر والموسيقى والجغرافيا ، حتى ان اقدم خريطة للعالم الجديد رسمها البحار الجغرافي العثماني محيي الدين بيري ريس واعتمد كولمبس في اكتشافه لأمريكا على ما توصل اليه هذا البحار في علم الخرائط [٦٥].

اما في مجال العلوم العسكرية ، فقد اظهر العثمانيون تفوقا في الفنون العسكرية والصناعات الحربية ، وبرهنوا على مقدرة وكفاية بالغتين في اقتباسهم للاختراعات والاستكشافات الحربية وتطويرها ، فقد كانوا اول من استعمل وعلى نطاق واسع الاسلحة النارية والمدفعية والتي تطلب استخدامها تدريبا طويلا وانضباطا لا ينسجم عموما مع مفهوم الفروسية الذي عرف في العصور الوسطى[٦٦] ، فقد سعت الدولة العثمانية في عصورها الاولى الى استقطاب جميع الكفاءات دون النظر الى اصل الفرد ومكانته الاجتماعية وبذلك اتاحت الفرصة للجميع دون تمييز للعمل في خدمتها في المجال العسكري والمدني [٦٧] .

ومما يوكد ما ذهبنا اليه ان الدكتور عماد الدين خليل يتراجع عن هذا الامر في موضع اخر ليقول: " ونحن لا نقول ان العثمانيون لم يمارسوا المهمات الحضارية بل انهم أنشأوا مؤسسات حضارية وقد بينت دراسات اكثر حداثة لمختصين في التاريخ العثماني كيف ان العثمانيين لاكمال كان يتصور سابقا انهم رموا بثقلهم فقط باتجاه الحروب والسياسة وانما لم يقصروا ويؤلوا جهدهم في مجال البناء الحضاري" [٦٨]

ثم يعود ليقول :"مهما كانت اخطاء العثمانيين فأنها لم تكن بشيء ازاء الخطيئة الكبرى التي نفذها قادة السقوط (يقصد سقوط عبد الحميد الثاني) اولئك الذين قادوا عالم الاسلام الى التمزق وضيعوا فلسطين وساقوا شعوبهم الى التبعية والضياع" [٦٩]

وبعد كل ما تقدم يمكن القول ان زوال الدول والامم سنة الله في خلقة وهي لا ترتبط بالغفل الحضاري بقدر ما ترتبط بالخروج عن الاسس التي قامت عليها الدول ونهضت بها الامم، فالعالم كله يعلم ما وصلت اليه حضارة مسلمي الاندلس وحضارة الدولة العباسية ، الا انه في النهاية اختفت الدولتين بسبب تفريطهما بالأسس التي قامت عليها الدول ولا تشذ عن تلك القاعدة الدولة العثمانية التي فرطت بالأساس الذي قامت علي وهو الاسلام .

الخاتمة

ليس جديداً ان نقول بان الدكتور عماد الدين خليل رائد من رواد الفكر الاسلامي ، واسهمت كتاباته في ثراء هذا الجانب ، وفيما يتعلق بآرائه في العثمانيين لابد من القول انه لم يتناول تاريخهم مفصلاً الا انه ركز على بعض جوانب هذا التاريخ التي كان يراها مهمة ومنها التركيز على نشوء الدولة العثمانية التي اعتبرها ضرورة وعدها القوة المعول عليها في الدفاع عن العالم الاسلامي ، ومن المهم القول ان آرائه حولهم اختلفت باختلاف الفترات الزمنية التي مرت عليها ففكان رايه ايجابيا في القرون الاولى من عمر الدولة واشاد باندفاعهم في خدمة المسلمين ونشر الاسلام . وفي هذا المجال اعطى امثلة عن تصديهم للحملات الصليبية التي اتجهت ضدهم في اوربا الشرقية وكذلك فتحهم القسطنطينية.

وفي اتجاه اخر عاب عليهم انهم هم انفسهم كانوا السبب في انهيار القوة التي بنوها عبر قرونهم الاولى عندما فرطوا في التنمية الحضارية كما يسميها وعلى الرغم من هذا المأخذ فانه عد زوال الدولة العثمانية مؤامرة دولية

كما عد نهاية عبد الحميد الثاني نهاية لفعلهم التاريخي ، فلم يكن يرى الفترة التي اعقبت عهده جزءا من التاريخ العثماني بل حمل الاتحاديين الذين ارتبطت قياداتهم بالماسونية كما يقول مسؤولية نهاية هذا الفعل التاريخي بل انهم من وجه الضربات للحضارة الاسلامية عامة من خلال اصرارهم كما يقول على فك الارتباط بين الاتراك واصولهم الحضارية المتمثلة بالاسلام .

ويمكن القول ان الدكتور عماد الدين خليل مثالا للمؤرخ الموسوعي والاديب الفذ ، فعلى الرغم من اختصاصه هو التاريخ الاسلامي الا انه لم يغفل الالتفات الى تاريخ الدولة العثمانية التي عدها جزءا من التاريخ الاسلامي ، واذا ماراد اي باحث في التاريخ ان يكون مؤرخا بحق عليه ان يترك بصمته ورؤيته الخاصة لأحداث التاريخ استنادا الى معطياتها كما فعل عماد الدين خليل.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) ذكر الاستاذ الدكتور عماد الدين خليل انه من مواليد ١٩٤١، ينظر : عمر احمد سعيد ، لقاء وحوار مع عماد الدين خليل المؤرخ والاديب والمفكر،ط١(العراق ،٢٠١١) ص١

(٢) ابراهيم خليل العلاف ، عماد الدين خيل واسهاماته في مجال الكتابة التاريخية المعاصرة ، مدونة الدكتور ابراهيم العلاف بتاريخ ٥ يناير /٢٠١٣على الموقع:

Potcom.bbgspot.com

(٣) عماد الدين خليل على الموقع: ar.m.wikipedia.org

(٤) عمر احمد سعيد، معهم في مكتباتهم الشخصية ، ا.د. عماد الدين خليل و ا.د. هاشم يحيى الملاح، ط١ (الموصل ،٢٠١١) ،ص٢.

(٥) ابراهيم خليل العلاف ، موسوعة المؤرخين العراقيين المعاصرين ، ج٢،(الموصل، ٢٠١١)،ص٣٢٦.

(٦) المصدر نفسه،٣٢٧-٣٢٨.

(٧) ذنون الطائي ،التحفة اللامعة من مؤرخي الجامعة ،(الموصل، ٢٠١١) ،ص٦-٣٧.

(٨) العلاف ، المصدر السابق ،ص٣٢٦

(٩) عمر احمد سعيد ، دراسات تاريخية موصلية، (الموصل ٢٠١٨)،ص١٠٩-١١٠.

(١٠) سعيد، لقاء وحوار ،ص٧

(١١) مصطفى الحيا، قراءة في كتاب المداولة في اعمال عماد الدين خليل دراسة في التنظير والابداع لسعيد العزاوي ، مجلة اسلامية المعرفة ، السنة التاسعة ، العدد ٣٥، الولايات المتحدة ،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ،ص١٧٩-١٨٠

(١٢) سعيد ، لقاء وحوار ،ص ص٧-٨.

(١٣) للتفاصيل عنها وعن امارات اخرى ظهرت في هذه الفترة ،ينظر:

Claude Cahen, Pre-Ottoman Turkey London,1968),pp303-314.

برنامج على خطى اصلاح الدين /الحلقة الاولى ، بعنوان (في العظماء الثلاثة) على الموقع

www.palscholars.com

(١٤) تعد اسيا الوسطى من الاقاليم التي تتميز بتنوع خصائصها الطبيعية والبشرية والحضارية ، وتقع في القسم الشمالي من الكرة الارضية وتمتد من منشوريا شرقا الى بحر قزوين غربا ومن الشمال جنوب روسيا اما في الجنوب فتقع بين الهضبة الايرانية والافغانية ، حول هذا الاقليم وجغرافيته ينظر: شترورييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي ، (موسكو، د.ت) ص٢٩٠.

(١٥) المصدر نفسه ، ص١٧.

(١٦) برنامج على خطى اصلاح الدين /الحلقة الاولى ، بعنوان (في العظماء الثلاثة) على الموقع

WWW.palscholars.com

(١٧)عماد الدين خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي (بيروت،٢٠٠٥) ص٨٨.

(١٨) المصدر نفسه ، ص١٢٧ –١٢٨.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

(٢٠) بيري اندرسون ، دولة الشرق الاستبدادية ، ترجمة :بديع عمر نظمي ،(بيروت ، ١٩٨٣)، ص ١١–١٢

(٢١) اتضح هذا المنهج من خلال وصية عثمان لابنه اورخان للتفاصيل عنها ينظر :زياد ابو غنيمه ، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك (عمان ، ١٩٨٣) ص٢٣؛ علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واساب السقوط ،(القاهرة ،٢٠٠٤) ص٥٠.

(٢٢) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ،ص١٢٨.

(٢٣) للتفاصيل عن هذه الموقعة ينظر:

Gerge Ostrogorky, History of The Byzantin Stata, Translator by: Jou Hussey, (Oxford, 1968), p.446;

علي حسون ، العثمانيون والبلقان ،ط٢ ، (بيرزت،١٩٨٦) ،ص ص٥٠–٥٤.

(٢٤) خليل، مدخل الى التاريخ الاسلامي ،ص ١٢٨–١٢٩.

(٢٥) عماد الدين خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي في منتدى فرسان الحق على الموقع:

www.forsanhaq.com

(٢٦) لقاء مع عماد الدين خليل على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٥، عنوان الحلقة التاريخ الاسلامي وفلسفته

(٢٧) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ص٢١٣.

(٢٨) للتفاصيل عن فتح القسطنطينية ينظر:

Steven Runciman ,The Fall of Canstantinople 1453, (Cambridge,1965), pp37-133.

سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ط٢، (بيروت ،١٩٦٩) ،ص٧٥ومابعدها ؛

H.Inalcila, The Rice of Ottoman Empire ,In :M.A Cook(edt) A History of The Ottoman Empire of 1730, (Cambridge,1976),p.40.

(٢٩) عماد الدين خليل ، مدخل الى الحضارة الاسلامية ،(بيروت،٢٠٠٥) ص٥٢–١٥٣.

(٣٠) خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي على الموقع :

www.forsanhaq.com

(٣١) عماد الدين خليل ، الدور المركزي للأتراك في الامة الاسلامية ، ضمن كتاب، مظاهر حضارية من الثقافة العثمانية (اعداد) عبد السلام كمال ،(القاهرة ،٢٠١٧)، ص ٢١٤.

(٣٢) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ،ص١٣٠.

(٣٣) خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي على الموقع

www.forsanhaq.com

(٣٤) المصدر نفسه ، في الحقيقة هو قال: (غدا سيكون لي فيها عرش او قبر)

(٣٥) خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي، على الموقع:

www.forsanhaq.com

(٣٦) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ١٣١.

(٣٧) يمكن القول ان العثمانيين امتلكوا نقطة ارتكاز للتوسع في اوربا منذ عهد السلطان اورخان عندما اوجد موطن قدم الدولة في ساحل تراقيا وشبه جزيرة غاليبولي للتفاصيل ينظر :

عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، جلد ١، ط٢، استانبول ، ١٣١٥هـ، ص ص ٧٣-٧٥.؛

Atlla Sahine, Osmanli Tarihi Bir Uc Beyligindeu Cian Imparatorluna 1300-1923, (Istanbul,2012) ,S. 28-29.

(٣٨) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ص١٣١.

(٣٩) للتفاصيل عن هذا الامر ينظر: الهام عبد القادر حمودي الطائي، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١-١٥١٢م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ص ص١٠٩-١١٤.

(٤٠) خليل، مصدر الى التاريخ الاسلامي، ص ١٣٢. للتفاصيل حول فتح بلغراد وبودابست وحصار فيينا ينظر: شرف، المصدر السابق ، ٢٢٧-٢٣٣؛

Aytekin Gezici, Osmanali, (Ankara,2013), S, 222-227;

نسيبة عبد العزيز عبد الله، محاضرات في التاريخ العثماني، (الموصل، ٢٠١٨)، ص ص٤٣-٤٤.

(٤١) عن الدولة الصفوية وظهورها في ايران ينظر:

R.Savory , Safeid Persia ,In: P.m. Holt and Other (edt)The Cambridge History of Islam, vol. 1, (Cambridge),1978),p.394;

جون ليمبرت ، ايران حرب مع التاريخ ، ترجمة : حسين عبد الزهرة مجيد ، (البصرة ١٩٩٢) ، ص ص ٩٢-٩٤.

(٤٢) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ص٢١٣.

(٤٣) خليل ، المصدر نفسه ،ص١٩٧.

(٤٤) جمعية الاتحاد والترقي: هي جمعية اسسها ابراهيم تيمو احد طلاب الكلية الطبية العسكرية في عام ١٨٨٩ بدعم من اليهود والجمعيات الماسونية هدفها اسقاط السلطان عبد الحميد الثاني للتفاصيل عنها ينظر: نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية اواخر القرن التاسع عشر ١٩٠٨(دمشق ، ٢٠١٤) ص١٨٨-١٩٠.

(٤٥) خليل، مدخل الى التاريخ الاسلامي، ص١٨١.

(٤٦) عماد الدين خليل ، مقالات اسلامية ،(بيروت،٢٠٠٥) ص١٣٤-١٤٠.

(٤٧) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ص٩٠.

(٤٨) خليل ، مدخل الى الحضارة الاسلامية،ص١٥٢-١٥٣.

(٤٩) المصدر نفسه ، ص٢١٣-٢١٤.

(٥٠) المصدر نفسه ، ص١٥٢-١٥٣.

(٥١) سورة الحديد ، من الآية : ٢٥.

(٥٢) لقاء مع عماد الدين خليل على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٥، عنوان الحلقة التاريخ الاسلامي وفلسفته

(٥٣) حوار مع عماد الدين خليل ،اجراه اسماعيل طه بتاريخ ٢٠١٣/١/٢٧على الموقع:

www.emaddin.com

(٥٤) خليل، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ص١٣٠.

(٥٥) خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي على الموقع:

www.forsanhaq.com

(٥٦) للتفاصيل عنها ينظر :

Ostrogorky, Op. Cit., P.52

عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الاسلامية، (بيروت،١٩٧٣)، ص٤٢؛ علي حسون، العثمانيون والبلقان ، (دمشق ، ١٩٨٦) ص ص٥٠-٦٠.

(٥٧)) خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي على الموقع :

www.forsanhaq.com

(٥٨) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : نسيبة عبد العزيز عبدالله الحاج علاوي ، النشاط البحري لكمال ريس ١٤٥١-١٥١١، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، المجلد ١٤ ، العدد ١ كانون الاول ،٢٠١٧ ، ص٤٠٣.

(٥٩) للتفاصيل عن هذه المساعدات ينظر: المصدر نفسه، ٤١١-٤١٤.

(٦٠)) للتفاصيل عنها ينظر:

Omer Faruk Yilmaz ,Osmanli Tarihi ,Cilt.2,(Istanbul,1999),S.120.

نسيبة عبد العزيز عبدالله الحاج علاوي، البحار العثماني محيي الدين بيري ريس حياته وجهاده البحري ١٤٦٥-١٥٥٤، مجلة التربية والعلم، مجلد ١٦، العدد٤ ،٢٠٠٩، ص٩٠.

(٦١) وقفات مع التاريخ الاسلامي، على الموقع:

www.forsanhaq.com

(٦٢) اسماعيل احمدي ، عندما كانوا يتكلمون اللغة العربية في يوغسلافيا ، مجلة العربي ، العدد٢٥٢، تشرين الثاني ،١٩٧٩، ص١٢٨-١٣٣.

(٦٣) خليل، وقفات مع التاريخ الاسلامي، على الموقع:

www.forsanhaq.com

(٦٤) خليل، مدخل الى التاريخ الاسلامي، ص٩١؛ خليل ، مدخل الى الحضارة الاسلامية، ص١١٢٧.

(٦٥) للتفاصيل عن هذا الامر ينظر : بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزه طاهر ، ط٤ (مصر ، ١٩٩٦) ،ص١٤٧؛ الحاج علاوي ، البحار العثماني ، ص٧٦-٧٧.

(٦٦) للتفاصيل عن هذا الامر ينظر : بارتولد ، المصدر السابق ، ص١٤٧؛ رولان موسونيه ، تاريخ الحضارات العام (القرنان السادس عشر والسابع عشر) مجلد٤، تعريب :يوسف اسعد داغر وفريد .م. داغر ،(بيروت ، ١٩٧٧) ، ص٥٤٩؛ دونالد كواترت، الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢، ترجمة : ايمن الارمنازي، (الرياض ، ٢٠٠٤) ، ص٧٧.

(٦٧) كواترت ، المصدر السابق ، ص١٨٩.

(٦٨) خليل ، وقفات مع التاريخ الاسلامي على الموقع:

www.forsanhaq.com

(٦٩) خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، ص٩١.